النموذج اللغوي كمرجعية تأسيسية للسيميائيات التواصلية

The Linguistic Model As A Foundational Reference For Semiotics Of Communication

أ.مامون عبد الوهاب

جامعة طاهري محمد- بشار، الجزائر 150-168

mamaounabdelouahabmamoun@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/10/06 تاريخ القبول: 2020/11/05 تاريخ النشر: 2021/08/20

ملخص:

يدفع الباحث في السيميائيات حتما إلى إدراك أساسها الابستيمولوجي، فالسيميائيات ترتكز على النموذج اللغوي الذي يمدها بأدوات التحليل والتنظير. وبالتالي فان هذا الأخير يشكل محور ارتكاز الدراسات اللغوية الحديثة، وقد كان له الحضور الأكبر والتأثير الأعمق في جميع الاتجاهات السيميائية الحديثة عموما وفي السيمياء التواصلية على وجه الخصوص.

تطرقنا في هذا البحث إلى تاريخية الأبحاث السيميائية، عند كل من علماء الغرب والعرب منذ القرون الأولى قبل الميلاد إلى العصر الحديث، أين تبلور هذا العلم ورسم لنفسه مسارات مختلفة ومتعددة، وقد ازدوجت أهدافنا حيث حاولنا رسم صورة نسقية واضحة ومختصرة للسيمياء العامة ثم تصورا شاملا لسيمياء الأدب، كما عملنا على رصد علاقة السيمياء التواصلية باللسانيات الحديثة كقاعدة معرفية تستمد منه تصوراتها وآراؤها النظرية.

الكلمات الدالة: السيمياء؛ السيميولوجيا؛ النموذج اللغوي؛ السيمياء التواصلية؛ اللسانيات

Abstract : The researcher in semiotics inevitably aware of its epistemological basis which is the linguistic model that provides it with Means of analysis and theorizing, thus, this forms the focus of modern linguistic studies, it was omnipresent in all modern semiotic

We'll take a brief historical look at arab and western semiotic researchs where this science drew for itself different paths, aiming to draw a clear and concise systemic picture of the general semiotics, then literary semiotics, we willl focus our attention on the relationship of communicative semiotics with modern linguistics as a reference from which it draws its theoretical perceptions and opinions.

Keywords: Semiotics; Semiology; Linguistic Model; Communicative Semiotics; Linguistics

1. مقدمة:

يعد موضوع السيمياء من بين الحقول المعرفية المعاصرة الذي يتميز بالاتساع والشمولية، فهو يميل إلى التركيب والتقاطع المعرفي بين عدة حقول علية، لذلك فهو يتسم بنوع من الموضوعية في التناول والطرح، على أن هذه الأوجه المعرفية التي تتنازع موضوع السيمياء تكسبه في أحايين كثيرة صفة العلمية، وعليه يمكن تحديده على أنه علم شامل يحاول دراسة أوجه اشتغال الأنساق الدلالية التي يستعملها الإنسان، والتي تطبع وجوده الفعلي وحضوره الفكري، حيث تكون العلامة **Signe** بؤرة اهتمامه ومركز تحليله ودراسته.

غير أن علم السيمياء –إن صحت التسمية– في مجمله قد أخذ اتجاهات مختلفة باختلاف المدارس اللسانية والنظريات المنبثقة عن أهم روادها، خاصة في العصر الحديث، كما أن كل من تلك المدارس اللسانية جعلت من اللغة عنصرا نموذجيا ونقطة الانطلاق ومحور الارتكاز في سبيل بلورة اتجاهها السيميائي وبناء نظرياتها وتصورياتها السيميائية، ومن ثم فقد أبدعت جل تلك المدارس نماذج لغوية كانت بالنسبة لهم المنطلق الأساس والأرضية الخصبة التي مهدت لهم الطريق أمام تنظيراتهم ودراساتهم اللغوية لتمتد لمجالات وميادين أخرى خاصة الأدبية منهاومن ثم اتخذت لنفسها اتجاهات مختلفة الطرح تارة ومتقاطعة الرؤى والتصورات تارة أخرى، نذكر منها (**السيمياء التواصلية، السيمياء الدلالية، السيمياء الثقافية، السيمياء التداولية وأخيرا السيمياء التحليلية**).

انطلاقا من هذا الراهن، يسترعي انتباه المتتبع لسيرورة تشكل النقد السيميائي، هذه التداخلات بين العلم العام للسيمياء الذي يدرس أنساق العلامات ضمن حياتها الاجتماعية ومدخل اللسانيات الذي يعمل على مد هذا العلم بالتصورات والنظريات التي تؤكد مشروعية هذا الارتكاز على النموذج اللغوي، وبالتالي يقفز إلى ذهن دارس اللسانيات عموما وعلم السيمياء على وجه الخصوص تساؤلات من قبيل: ما المقصود بالنموذج اللغوي؟ كيف أسهم هذا الأخير في بعث وتوجيه نظر كل المدارس اللسانية لتوسيع أبحاثها وتعميق تصوراتها ونظرياتها حتى غدا هذا النموذج اللغوي محور ارتكاز كل هذه الاتجاهات السيميائية، خاصة منها بالأساس السيمياء التواصلية؟

تدفعنا هذه التساؤلات إلى البحث في أهم وأبرز هذه المدارس اللسانية وتقصي نماذجها اللغوية التي تأسست عليها نظرياتها وتصوراتها، لكن المقام لا يسمح بذلك وسنكتفي بعرض واستقصاء مجمل الأسس اللسانية التي أسست لمعطيات ومنتوج السيمياء التواصلية فقط، وذلك عبر توسل المنهج الوصفي التحليلي، لكن قبل الخوض في غمار هذا البحث، يجدر بنا تسليط بعض الأضواء الكاشفة على بعض الجوانب المهمة من قبيل: نظرة تاريخية عامة ومختصرة لعلم السيمياء وكيفية تبنيه من طرف العلماء والفلاسفة والأدباء الغرب والعرب على حد سواء ثم تحديد مفهوم النموذج اللغوي، مرورا بالتأثير الذي أحدثه النموذج اللغوي في النقد السيميائي للأدب إلى إلقاء نظرة عامة وشاملة على أحد الاتجاهات السيميائية الحديثة وهي السيمياء التواصلية، وتبيان مدى تأثرها بالنماذج اللغوية للسانيات الحديثة لتبلور أفكارها وتصوراتها السيميائية ذات الوظيفة التواصلية.

2. علم السيمياء عبر التاريخ

ظهرت السيمياء الحديثة كعلم يشتغل على دراسة العلامات في بدايات القرن العشرين، وجاء هذا الظهور علنيا على يد كل من عالم اللغة السويسري **فيردينان دوسوسير Ferdinand De Saussure** والفيلسوف الأمريكي **شارل ساندرس بيرس**

Charles Sanders Peirce، كما نوه لهذا العلم بصفة ضمنية كل من الفيلسوف الألماني **ارنست كاسيرر Ernest Cassirer**، وبعض من منظري »مدرسة فيينا نذكر منهم على سبيل التمثيل: (**روسلRussell**، **كارناپKarnap**، **فيتغنشتاين Wittgenstein** وفريج **Freej**. (**Armengaud**, 19885, pp. (**48 – 15**، حيث وانطلاقا من آرائهم وتصوراتهم ونظرياتهم في هذا الميدان وبما جاء به أب اللسانيات "**دوسوسير**" في فرنسا ونظيره في أمريكا "**بييرز**"، تشكلت النواة الأول للسيمياء الحديثة والمعاصرة.

1.2 . الاهتمام بالعلامة في الفكر الإنساني القديم:

يبدو أن اهتمام رواد الفكر الإنساني منذ القدم بالعلامات كان جديا وصريحا، الشيء الذي يوحي بحضور النظرة العلمية والاهتمام بالظاهرة الاجتماعية واللغوية منذ القدم، **فأفلاطون Platon** وَسَمَ العلامة بالطابع المحاكاتي **Mémitique**، وَوَسَمَهَا كذلك بخاصيتها الاعتباطية، في حين ميز **أرسطو Aristote** بين كل من (**الكلام، الأشياء والكتابة**) (**Aristote**, **1979**)، كما اشتغل على فن الشعر ودراسة المعنى من جهة أخرى، وقد تصورات سيميائية عن كل ذلك خاصة في كتابة الشعرية.

كما كان **للرواقيين Stoiciens** نظرات وآراء جادة حول العلامة والأنساق اللغوية، وكذلك هو الحال بالنسبة لمدرسة الإسكندرية في مرحلتها اليونانية والمسيحية على حد سواء، فقد اهتموا بالظواهر اللغوية وبمميزاتها وخصائصها ثم بأبعادها السيميائية. (**تودوروف، 2012، صفحة 64**) (**أمين، 1945، الصفحات 108 – 111**)

، كما اهتم **القديس أوغسطين Saint Augustin d'Hippone** في القرون الوسطى بدراسة آليات اشتغال المعنى في العلامات اللغوية (**تودوروف، 2012، صفحة 57**)

في حين انبرى في عصر النهضة الفيلسوف الألماني **ليبنيز Leipniz** لإيجاد ووضع لغة كونية (**رياضياتية**)، ومحاولة تعميمها لكي تصبح لغة عالمية ذات علامات تتبنى تصورات

ومفاهيم وأفكار موحدة، ثم في عصر الأنوار اتجه الفيلسوف الانجليزي **جون لوك John Locke** صوب الدراسات اللغوية، حيث عد أول من استعمل مصطلح **Sémiotic** خاصة في كتابه **"مقال في الفهم البشري"**، حيث أكد على مقولة الماهية والاسمية للعلامات اللغوية (**راغب، 2003، صفحة 366**)، وقد تناولها **جون لوك** بمعنى معرفة الأدلة وذلك بغرض النظر في طبيعة الأدلة التي يتوسلها العقل في سبيل إدراك الأشياء أو قصد تبليغ معارفه للآخرين بسهولة ويسر. (**اينو، 2013، صفحة 202**)

أما في العصر الحديث فقد انطلق **سوسير** من اللسانيات ليدعو لعلم عام "يدرس الحياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية من خلال الكشف عنها وعن قوانينها التي تتحكم فيها" (**Saussure, p. 53**).على أن هذا العلم أخذ مسار جادا بالتركيز على الفلسفة الظاهرية ليؤسس **"شارل ساندرس بيرز"** من خلالها علما شكليا للعلامات سواء بالنظر في العناصر المحسوسة أي الأشياء أو المجردة كالأحاسيس والعواطف بخلاف **"سوسير"** الذي قصرها على العلامات المنتشرة ضمن الحياة الاجتماعية.

بما أن التراث العربي القديم قد كان قائما أساسا على التفكير اللغوي والبلاغي، فقد حفلت كتب المناطق والبلاغيين والنقاد والفقهاء والمفسرين وغيرهم بنظريات وتصورات جادة وعميقة إلى حد ما حول العلامة اللغوية وغير اللغوية، فأفرزت نظريات في غاية النضج والأصالة، تقاطعت نتائجها مع العديد من الأفكار التي جاءت بها السيمياء الحديثة، ويمكننا في هذا السياق إن نذكر ما أشار إليه **الجاحظ** في كتابه **"البيان والتبيين"** للعلاقة التي تربط بين المعاني والألفاظ قائلا: "حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأن المعاني مبسوطة إلى غير ذلك، وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني خمسة أشياء (...) أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال" (**الجاحظ، 1998، صفحة 76**) (**الأحمر، 2010، الصفحات 32– 33**)، والبيان بالنسبة له هو كل الإضاءات التي تنير المعنى، سواء ما تعلق باللغة أم بغيرها "فمتى دل الشيء على معنى، فقد أخبر عنه وإن كان صامتا، وأشار إليه

وان كان ساكتا، وهذه هي دلالة كل ما يوصل إلى معنى المعين". (**الجاحظ، 1998، الصفحات 32–33**)

كما حظيت العلامة اللغوية باهتمام كل من صناع المعاجم كأحمد بن فارس في المعجم (**فارس، 1979، صفحة 359**)، وأبو هلال العسكري في الفروق اللغوية (**العسكري، 1923، صفحة 13**)، والراغب الأصفهاني في المفردات. (**الأصفهاني**) إلى تناول دلالات الألفاظ والمعاني في نظرية النظم (**الجرجاني، 1375هـ**) العالم اللغوي الكبير عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز وغيرهم كثير.

يبدو أن علم السيمياء علم قديم تناولته أفكار ونظريات العديد من المفكرين والعلماء، سواء على الصعيد الغربي أو حتى الشرقي، وقد اختلفت منطلقاتهم النظرية من عصر لآخر، ومن أمة لأخرى باختلاف الحضارات والأزمنة، مرورا بمرحلة أرسطو وأفلاطون إلى الرواقيين فمفكرين العصور الوسطى من العرب والغرب، إلى عصر الأنوار وصولا إلى العصر الحديث، وبالتالي تبلور هذا العلم كعلم عام يعني بدراسة العلامة في بيئتها الاجتماعية، حيث تناولته المدارس اللسانية المختلفة بالبحث الحثيث حتى تمخض عن ذلك ظهور اتجاهات سيميائية عديدة لها أصولها ومدارسها ونظرياتها الخاصة، نذكر منها السيمياء التواصلية والسيمياء الدلالية والسيمياء الثقافية والسيمياء التداولية أو ما يعرف بالسيمياء المعنى عند كل من "**شارل ساندرس بيرز**" و"**شارل موريس**"، بالاضافة إلى السيمياء التحليلية عند "**جوليا كريستيفا**". وفي هذا البحث سنتعرض أسس ومبادئ السيمياء التواصلية القائمة على الخطاب اللساني أو ما يعرف بالنموذج اللغوي والذي على أساسه انبرت جل المذاهب والاتجاهات واتخذت منه أساس أبحاثها ونظرياتها.

3. مفهوم النموذج اللغوي:

النموذج اللغوي هو "مثال الشيء"، "أنموذج"، "مثال يقتدى به" أو "مثال يعمل عليه الشيء"، وفي الاصطلاح يحدد النموذج **Modèle**، على أنه التمثيل الذهني لفعل ما أو لصوره اشتغاله، حيث "يدل النموذج على معيار الفعالية المبررة داخل المجال العلمي الذي

ينظمه، فينسق ويرشد عمل رجال العلم" (**رضا، 2011، صفحة 185**) وعليه فان النموذج مثال أو مخطط أو قاعدة تمثل مرجعا يعتمد عليها في قياس وضبط القضايا العلمية.

والنموذج خاص بالعلوم الجادة والصارمة حيث تصعب مقاربة الأحداث، حيث يتجه الباحث لصياغة نماذج لها قصد تفسيرها، ثم وضع قواعدها وأسس تنبني عليها، وبالتالي فإن العلوم كلها كالبيولوجيا والفيزياء والكيمياء الرياضيات وعلم الإحصاء وغيرها لا تستطيع التفكير خارج النماذج الموضوعة لها.

أما في الدراسات اللسانية وبما أنها تجعل من اللغة أرضيتها الأساس التي تشتغل عليها، فهي تشكل بنيتها العامة الخارجية، وعلى هذا الأساس تصاغ نماذج لسانية لتمثيل أوجه المحاكاة والمخططات الأولية لموضوعات معينة لها علاقة بالدراسة اللسانية، وهي أوصاف لفظية واضحة الأقوال ومجرده، تعرض بشكل يتقاطع مع نموذج القياس المصغر والحساب والتمثل الفيزيائي، حيث يصبح لدى الباحثين في علم اللسانيات نماذج من مباني المعالم الخارجية اللسانية.

كما أنها تختلف باختلاف المنطلقات والتصورات القبلية لكل باحث، على أن تكون تلك النماذج ذات خاصية كونية تطرح نماذج من العلاقات والمسالك المجردة على شكل تصور لجهاز يعطي تشغيله وتطبيقه المتسلسل نتائج مشابهة لتلك المعطيات اللغوية المشاهدة، وعليه فان صياغة النماذج اللغوية ما هو سوى وسيلة لتشكيل نظرية مصغرة ومكثفة لما سناسبها في الواقع الذي تعمل على تفسيره، ومن هذا المنظور كلما كان النموذج بسيطا كانت قدرته التفسيرية أكبر. (**Mounin, 2002, p. 303**) وبالتالي فإن النموذج كلما أخذ خاصية البساطة، فإنه يمكن لكل عنصر من عناصر تشكل النظرية اللسانية أن يؤدي دوره وفقا للمعطيات بكل دقة ووضوح.

4 . السيمياء/ السيميولوجيا/ السيميوطيقا:

ينتشر في الغرب استخدام مصطلحين اثنين لتمثيل علم العلامات هما

Sémiologie و**Sémiotique**، وهما مصطلحان يشتركان في البادئة**Sémio**، التي تعني السمة والعلامة، ويختلفان في اللاحقة **Suffixe** ، والتي هي في المصطلح الأول **logie**حيث تعني الخطاب والتفكير والحجاج ومعنى العلم كذلك، في حين أن اللاحقة **tique** للمصطلح الثاني تؤدي وظيفة النسبة الديداكتيكية، على أن العالم اللغوي السويسري اختار المصطلح الأول للدلالة على علم للعلامات وانطلق من اللسانيات باعتبارها فرعا عنها.(**Saussure**, **p**. **53**)

أما المصطلح الثاني وهو **Sémiotics**، فقد تبناه الفيلسوف الأمريكي شارل ساندرز بيرز لعلم عام للعلامات ينطلق من الفلسفة وعلم المنطق. (**Peirce**, **1978**, **p**. **120**)

أما السيمياء عند العرب فقد جاء في لسان العرب لابن منظور "السمة" و"السيماء" و"السيمياء" بمعنى " العلامة" على صوف الغنم، والعلامة التي توضع على الشاة". (**منظور، 1990، الصفحات 311– 312**).

وبالتالي فان السيمياء علم للعلامات بالنظر لهذا الأصل العربي أو السيميائيات بالنظر للاشتقاق العربي، يدرس دلالة ومعاني العلامات اللغوية وغير اللغوية على حد سواد، لذلك اكتفى عدد من الباحثين بتعريب المصطلحين السيميولوجيا والسيميوطيقا واقترح آخرون تسميات أخرى له كعلم علامات، علم الادلة، الرمزية، أو الدلالية ...إلخ. (**السرغيني، 1987، الصفحات 15– 18**)

5. النموذج اللغوي في النقد السيميائي للأدب:

لما كانت الرؤى والنظريات اللسانية والتصورات التأسيسية للمدارس اللسانية كما سبق وأن نوهنا لذلك، متنوعة ومتباينة، فقد أدت إلى نشوء وتشكل اتجاهات ومدارس يمكن وصفها بالسيميائية، ولما كانت السيمياء علما عاما للعلامات فقد اتسعت منظوراتها وتفرعت مجالاتها واختصاصاتها وشملت بذلك المجال الأدبي حيث أفرز ذلك زخما من النظريات والتصورات في الدراسات السيميائية.

علاوة على أن اللسانيات شكلت في غالبها نموذجا للتأسيس لتلك النظريات السيميائية الحديثة، خاصة في مجال الأدب، حيث شكل النموذج اللغوي لمادته محور الارتكاز ونقطة الانطلاق لدراسة وفهم النصوص الأدبية، حيث عد النص الأدبي "نسقا من العلامات اللسانية، واستبعدت الأسئلة التقليدية، من قبيل ما الأدب؟ وطرحت أسئلة عن كيفية ظهور الأدب؟ وكيف يعني ما يعنيه؟ وما الشيء الذي يجعله دالا؟ على أساس أن هذه النصوص الأدبية ذات استعمال نوعي باللغة.

وعليه فان السيمياء الأدبية ركزت جل اهتمامها على الأدب بوصفه استعمالا نوعيا للغة، وذلك من خلال الحفر في بنيته الشكلية، والبحث في أنساقه الدلالية، وتبني واختيار آليات تأويلية واضحة ومناسبة، تتماشى واختلاف وتنوع المسالك المنهجية لهذه السيمياء، الشيء الذي جعلها شديدة الالتصاق بعلم اللسانيات.

علاوة على أن الاتجاهات السيميائية تشكلت من الدراسة العامة لأنماط العلامات في مظهرها اللساني وغير اللساني على السواء، فان هذه الاتجاهات تباينت اهتماماتها واختلفت، غير أن جلها تقريبا ظلت مرتبطة باللسانيات وأضحت متقاطعة معها في العديد من المجالات.

يمكن حصل هذه الاتجاهات السيميائية في خمس مسارات هي "المسار التواصلي والدلالي والثقافي والتداولي والتحليلي"، وبالتالي فمن المنطقي التساؤل عن كيفية استفادة كل هذه الاتجاهات بالنماذج اللغوية نظريا وكيف اتخذت منها منطلقا لها وأساسا تشكلت عبره نظرياتها وتصوراتها لدراسة الأدب على أرضية سيميائية خصبة؟

6. الأسس اللسانية واللغوية للسيمياء التواصلية:

يضم هذا الاتجاه السيميائي أتباع اللسانيات الوظيفية أمثال (**جورج مونان Georges Mounin وجان مارتيني Jeanne Martinet أندري مارتيني André Martinet لويس بريتو Luis Prieto إيريك بوسنس Eric Buyessens** وغيرهم، إضافة لبعض من أعضاء حلقة براغ، وقد كانت انطلاقتهم

التنظيرية من الأسس والقواعد التي وضعها "**فيردينان دو سوسير**" لعلم السيمياء، حيث أضحت السانيات بالنسبة إليه فرع من فروعها تهتم بالقضايا اللسانية، في حين شملت السيمياء جميع أنماط العلامات، لسانية كانت أو غير لسانية، كما نادى "**دوسوسير**" لتبني التجربة اللسانية والاستنساخها، بوصفها المسؤول عن وضع القواعد النظرية للسان، وأكد على الخاصية الجوهرية لجميع العلامات السيميائية، وبالتالي فإن اللسانيات هي من إماطة اللثام عن المشروع السيميائي، حيث "جعل سوسير العلامه اللسانية نموذجا لجميع العلامات السينيائية". (**Saussure**, **p. 35**)

كما أكد على الخاصية الاجتماعية للسان عبر التعاقدات التي يتبناها المجتمع حياله **Conventions**، وهذه الخاصية الاجتماعية تتبدى عبر مبدأ الاعتباطية الرابط بين شقي العلامة (الدال والمدلول)، باعتبارها- أي هذه العلامة- وحدة لسانية صغرى، وقد اعتمد في ذلك كله على تحليل عملية التواصل حيث افترض ما أسماه بدوره الكلام **Circuit de la parole**، والتي يمكن إيجازها عبر مخططات ثلاث تترجم دورة الكلام عموما:

الشكل 1: العملية النفسية

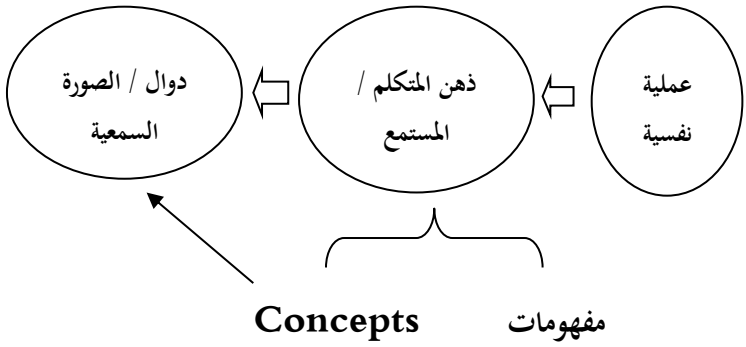

بمعنى أن المتكلم يتصور في دهن صورة سمعية، فتثير بدورها مفهوما وتتكرر العملية، بمعنى يثار المفهوم في دهن المتكلم فيصدر عنه صورة سمعية ليصل لدهن المستمع في شكل مفهوم وتتكرر العملية عكسيا.

الشكل2: العملية الفيزيولوجية

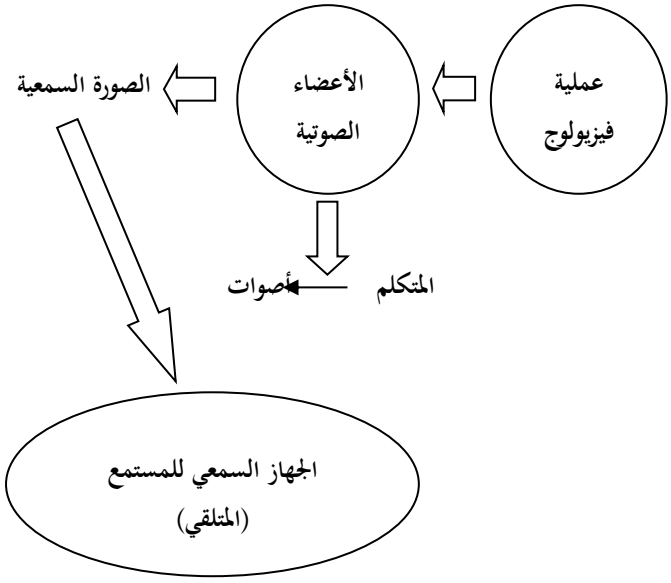

بمعنى أن الأعضاء السمعية للمتكلم تصدر أصواتا موافقة للصورة السمعية القابعة في ذهنه، فتخترق تلك الصورة السمعية الجهاز السمعي للمستمع.

الشكل 3: العملية الفيزيائية

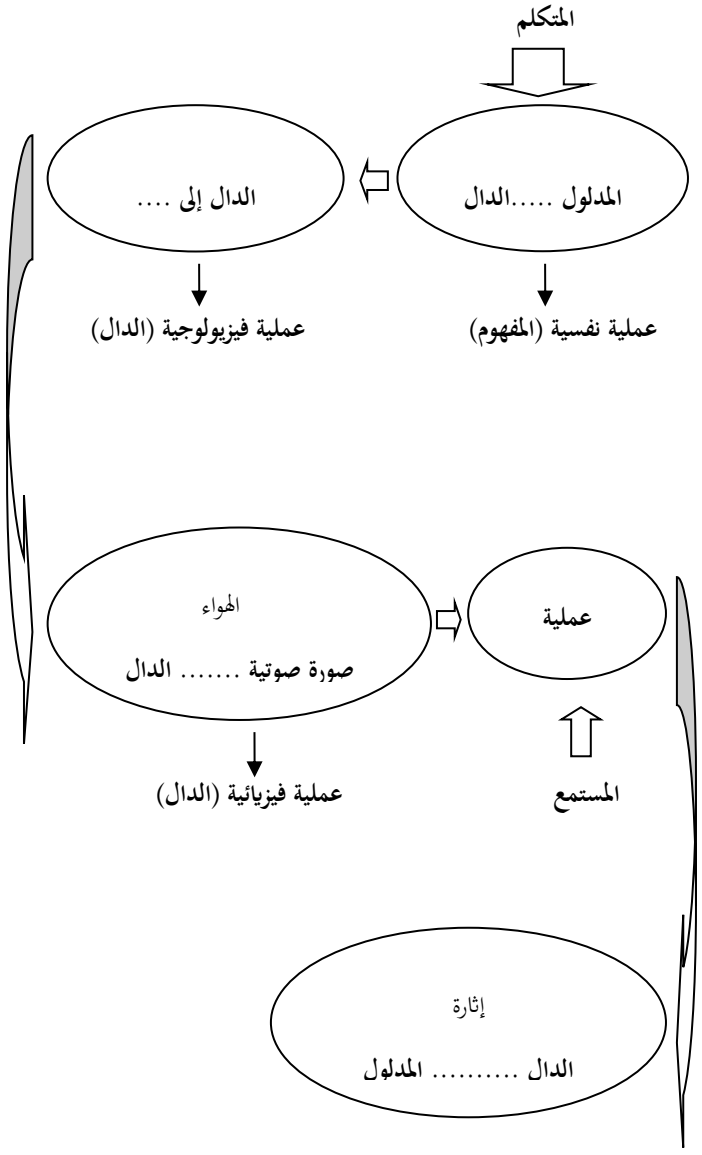

ترتكز هذه العملية الفيزيائية على سيرورة الأصوات عبر الهواء والتي تنطلق من فم المتكلم إلى أذن السامع، وهذه العملية تتكرر عبر دوره الكلام (من المدلول إلى الدال ثم

النطق)، ثم سيرورة الأصوات عبر الهواء وصولا إلى "الدال" الذي يثير "المدلول" في دهن المخاطب. (**Saussure, pp. 34– 35**)

على شاكلة هذه النماذج اللغوية، استوحى رواد السيمياء التواصلية نماذج تواصلية أخرى تمثلت في تصورات **بلومفيلد Leonard Bloomfield** السلوكية حول فعل الكلام **Acte de parole**، عبر وضعيات المثير **Stimulus** والاستجابات **Réponses**، وكذا نظريات وتصورات **كلود شانونClaude Shannon ووارين ويفر Warren weaver** التي طغى عليها النموذج الرياضي المتاثر بنظرية الإخبار، ولكننا هنا سنعرض للنموذج المقدم من طرف "**بلومفيلد**" ونستعيض عن تصورات "**شانون**" و"**ويفر**" ونماذجهم الرياضية لأن كليهما لا يتعرضان للتواصل الإنساني بقدر ما يتجهان بنموذجهما نحو نقل الخبر عبر الآلة التكنولوجية.

يؤكد "**بلومفيلد**" على السمة العملية للسلوك الإنساني، وأن اللغة هي الوسيط الذي ينقل الفعل أو العمل من وضعية الإثارة إلى وضعية الاستجابة، ولكي يشرح هذا التصور قدم مثال التفاحة والرجل والمرأة، ويمكن إجمال هذا المثال في النموذج التمثيلي التالي:

الشكل 4: النموذج التمثيلي التواصلي لبلومفيلد

المرأة:

- **الإحساس بالجوع** ← **الوضعية السابقة لفعل الكلام / المثير 1 للمرأة**
- **رؤية التفاحة** ←
- **إصدار صوت** ← **استجابة 1 للمثير 1** ← **المثير 2 للرجل**

الرجل:

- **تسلق الرجل للشجرة**
- **قطف التفاحة وتقديمها للمرأة**
- **أكل المرأة للتفاحة**

} **الوضعية الأخيرة/ الاستجابة 2 للمثير1.**

يبدو من خلال هذه التوليفة التي طرحها **"بلومفيلد"**، والتي تربط بين الرجل والمرأة والتفاحة والتي **تمثل الطرح البلوفيلدي لعملية التواصل**، تتلخص ضمن الفعل اللغوي الذي يتضمن **(مثيرا واستجابة)** في نفس الوقت، وهو يتوسط طرفي الفعل الإنساني البشري ليشكل مرتكزه الأساس وقاعدته المركزية.

فالمرأة تمثل المثير الأول، وهي تمثل الجانب الإنساني كذلك، أما الرجل فيمثل بدوره الجانب الإنساني الثاني، والفعل اللغوي هو المثير الثاني، والذي يمثل كذلك الاستجابة الأولى للمثير الأول وهو المرأة، في حين أن الرجل أي (الجانب الإنساني) الثاني يمثل الاستجابة للمثير الثاني، ويمكن التمثيل لذلك بالمخطط الآتي:

الشكل 4: ملخص العملية التواصلية

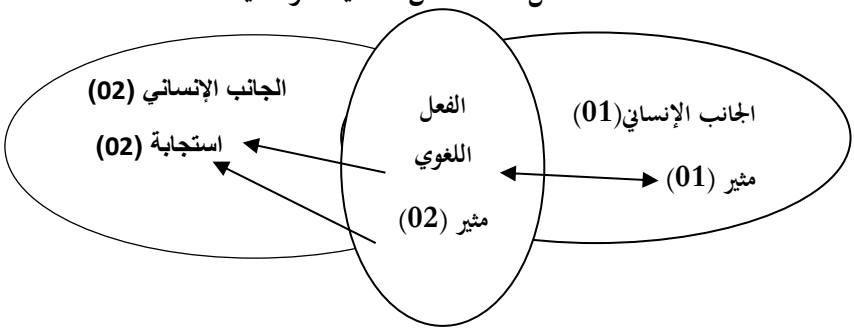

إضافة إلى هذه التصورات وممثلاتها، والتي أسهمت في ولادة وظهور اتجاه سيميائي تواصلي يتناول العلامات من منظور الوظيفة التواصلية، ويهمل قراءة وتحليل العلامات الغير التواصلية، ويخرجها من بؤرة اهتمامه، فقد طرح **"جورج مونان"** في كتابه **(مقدمة في السيميولوجيا)** تصنيفا موازيا للأنساق غير اللغوية ذات القرب الشديد بالنسق اللساني، إضافة إلى إبداعات وأعمال فنيه ذات مقصدية تواصلية.

في حين أن **"جان مارتيني"** صنفت العلامات انطلاقا من سمتها التي تخضع لها، وهي عندها علامات طبيعية وعلامات مصطنعة على يد الإنسان، وقد توحي كلها بثلاثة أنماط من العلاقات الرمزية؛ فإما أن تكون سابقة زمنيا لما تدل عليه كالأمارة **Indice**، والدال

فيها يكون محسوسا والمدلول مختفيا كالتنبؤ وتوقع. وقد تكون موافقة لزمن تمظهر العلامة كما في الأعراض المرضية مثلا **Symptoms**، وقد يصل مدلولها بعد مدة قصيرة أو طويلة كما في الآثار **Traces**، والبصمات **Empruntes**.

أما فيما يخص العلامات الاصطناعية فهي بالنسبة إليها إما أيقونة **Icônes**، أو رمزا **Symbole**، وهما الاثنين من صنع الإنسان، والفرق بينهما هو أن الأيقونة تطابق صورة ما تدل عليه أو على الأقل بينها وبين دلالتها علاقة تشابه كصورة الشخص **Portrait** أو الصورة الفوتوغرافية **Photo** أو خارطة بلد ما **Carte géographique**. في حين أن الرمز هو علامة تربط بين صورتها ودلالتها علاقة اتفاق أو عادة أو تعاقد كالميزان مثلا للدلالة على العدالة والحمامة للدلالة على السلم...إلخ

يبدو أن رواد اتجاه السيميائية التواصلية ركزوا في مجمل بحوثهم عبر نماذجهم المقدمة على عنصر القصدية **Intentionnalité**، فالاستعمال الوظيفي التواصلي للعلامات في نظرهم مشروط دائما بصفة إرادة التبليغ أو التوجيه أو الإعلام، والوظيفة التواصلية من وجهة نظر غالبيتهم تقريبا موجودة في كل فعل تواصل. (**Martinet, 1973, p. 53**)

إلا أن ذلك يختلف باختلاف المجتمعات والثقافات، فالذي يصح في هذا المجتمع لا يصح بالضرورة في غيره، بل ربما يكون هذا التباين والاختلاف في المجتمع الواحد فقط، بل يتعداه إلى العائلة الواحدة أحيانا، لذلك فان حيثية (القصدية) لتبليغ دلالة معينة قد لا تكون أصلا (أو تكون منعدمة) أحيانا، كما يمكن أن تكون واقعة ولكن بصفة لا شعورية في ذهن الفرد الحامل لها، لذلك فإن اعتماد عنصر القصدية يحتاج إلى عمق في البحث والتمثيل والطرح لتتضح معالمه.

كما أن هناك اجتهادات كثيرة وأبحاث ودراسات عديدة تصب جلها في الاتجاه التواصلي، حيث حاولت معظمهت تصنيف أنساق العلامات بالتركيز على طبيعة العلاقة التي تربط الدال بالمدلول، واعتماد التصنيف النسقي للعلامات من خلال دراسات تطبيقية قام بها هؤلاء السيميائيون أمثال؛ لويس بريطو **Luis Prièto** واريك بويسنس **Eric**

Buyessens، شملت مختلف الأنساق العلمية والمعرفية (**Buyessens, 1967**)، (**Prièto, 1964**) واتسعت لتشمل الحياة الاجتماعية وما تعلق بها من علامات موضوعة على الألبسة ودليل المطاعم والفنادق والأماكن السياحية مثلا، إضافة إلى إشارات الطرق وشيفرات الهاتف والتلغراف، وكذا الاهتمام بالجوانب السردية كالقصص والحكايات الخرافية.

7. خاتمة:

وقفنا في هذا البحث على السمة الموسوعية التي تميز علم السيمياء، هذه السمة التي تبرز من خلال اشتماله على علوم متعددة ومتنوعة، فهو علم يدرس العلامات ودلالاتها عبر تصورات فلسفية ودينية تارة، ثم أدبية وعلمي' تارة أخرى، وقد استعرضنا الأساس الأصيل الذي اعتمده السيميائيون في العصر الحديث لبناء نظرياتهم وتصوراتهم في دارسة الأنساق الدلالية للعلامات، هذا الأساس هو النموذج اللغوي الذي اعتمدته المدرسة التواصلية كاتجاه سيميائي، **والتي ركزت على نقاط وعناصر مهمة في تناولها لهذا النموذج يجملها كالتالي:**

- اعتمد الاتجاه السيميائي التواصلي على دراسة جميع أنماط العلامات، وذلك بالتركيز على مظهرها الوظيفي التواصلي، متمسكين بآراء العالم السويسري "**دو سوسير**" في اشتمال علم السيميولوجيا على جميع أنواع العلامات سواء اللغوية منها وغير اللغوية.
- العلامات عند هذا الاتجاه هي كل ما يصح لها أن تحقق مبدأ التواصل بين البشر، فكل من الكلام البشري والإشارات المستعملة عند الصم والبكم، الطقوس الرمزية وآداب السلوك...الخ كلها تعد علامات سيميائية من منظور مدرسة سيمياء التواصل.
- الحضور الملفت للمرجعية اللسانية في هذا الاتجاه، لأنها مرتبطة بنظريات اللسانيات بدءا بآراء "**دو سوسير**" حول الكلام وأطرافه ودورته المنظمة له، مرورا بحلقة براغ،

ثم أندري مارتيني، وصولا إلى التصورات والنظريات التي وضعها رواد اللسانيات العامة والوظيفية على وجه خاص.

- إضافة إلى ارتباط اتجاه السيميائية التواصلية بالأسس اللسانية، فقد استفادت كثيرا من نظرية الإخبار والرياضيات وعلم النفس السلوكي كما هو الحال عند رائدها **"بلومفيلد"**.

على غرار ما قامت به سيميائية التواصل من بناء أسس نظرياتها وتصوراتها السيميائية على قاعدة من الأسس والمبادئ اللسانية، فان الاتجاهات السيميائية الأخرى نحت منحى هذا الاتجاه كالسيمياء الدلالة والسيمياء الثقافية وسيمياء المعنى أو ما يعرف بالسيمياء التداواية، ثم السيمياء التحليلية عند كل من جولسا كريستيفا **Julia Kristiva** وجاك لاكان **Jacques Lacan**، هذه الاتجاهات التي يحتاج كل منها لبحث خاص به لصبر تصوراته اللسانية، واستحضار مختلف الآراء والنظريات التي جعلتها في موضع ابستيميولوجي خاص، والتي من شأنها أن تقدم للقارئ والدارس على حد سواء صورة أوسع وفهم أعمق للأساس اللساني الذي انبثقت منه كل هذه الاتجاهات السيميائية.

قائمة المراجع

1. Aristote. (1979). La Poétique (éd. du Seuil). (d. Seuil, Éd.) Paris, France: du Seuil.
2. Armengaud, F. (19885). La Pragmatique (éd. P.U.F). (P.U.F, Éd.) Paris, France: P.U.F.
3. Buyessens, E. (1967). Les Languages Et Le Discours. (P.U.F, Éd.) Paris: P.U.F.
4. Martinet, J. (1973). Clefs Pour La Sémiologie. (Séchées, Éd.) Paris, France: Séchées.
5. Mounin, G. (2002). Le Modèle En Linguistiques. (E. Universalis, Éd.) Paris, France: Encyclopédia Universalis.

6. Peirce, C. S. (1978). Ecrits Sur Le Signe. (d. Seuil, Éd.) Paris, France: du Seuil.

7. Prièto, L. (1964). La Noologie. (Mounton, Éd.) Lahaye, Hollande: Mounton.

8. Saussure, F. D. Cours de Linguistiques Générales. Paris, France: Payot.

9. ابن منظور. (1990). لسان العرب (الإصدار دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع). (دار صادر، المحرر) بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

10. أبو عثمان الجاحظ. (1998). البيان والتبيين (الإصدار 07). (مكتبة الخافجي للطباعة والنشر والتوزيع، المحرر) القاهرة، مصر: مكتبة الخافجي للطباعة والنشر والتوزيع.

11. أبو هلال العسكري. (1923). الفروق اللغوية (الإصدار 04). (دار الآفاق الجديدة، المحرر) بيروت، لبنان: دار الآفاق الجديدة.

12. أحمد أبو فارس. (1979). معجم مقاييس اللغة (المجلد 02). (دار الفكر، المحرر) دمشق، سوريا: دار الفكر.

13. الراغب الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن. (مكتبة الأنجيلو المصرية، المحرر) مصر، مصر: مكتبة الأنجيلو المصرية.

14. آن اينو. (2013). السيميائية الأصول، القواعد والتاريخ (الإصدار 02). (مجدلاوي للنشر والتوزيع، المحرر، و رشيد بن مالك، المترجمون) عمان، الأردن: مجدلاوي للنشر والتوزيع.

15. بابا أحمد رضا. (سبتمبر, 2011). مفهوم النموذج في الدراسات اللسانية الصورية. مجلة قراءات للبحوث والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية (02)، صفحة 185.

16. تزيفيطان تودوروف. (2012). نظريات في الرمز (الإصدار 01). (مركز دراسات للوحدة العربية، المحرر، و محمد الزكراوي، المترجمون) بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.

17. عبد القاهر الجرجاني. (1375هـ). دلائل الاعجاز. القاهرة، مصر: مكتبة الخانجب للطباعة والنشر والتوزيع.

18. عثمان أمين. (1945). الفلسفة الرواقية. (مطبعة لحظ للتأليف والترجمة والنشر، المحرر) القاهرة، مصر: مطبعة لحظ للتأليف والترجمة والنشر.

19. فيصل الأحمر. (2010). معجم السيميائيات (الإصدار 01). (منشورات الاختلاف، المحرر) الجزائر، الجزائر: منشورات الاختلاف.

20. محمد السرغيني. (1987). محاضرات في السيميولوجيا. (دار الثقافة، المحرر) الدار البيظاء، المغرب: دار الثقافة.

21. نبيل راغب. (2003). موسوعة النظريات الأدبية (الإصدار 01). (الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، المحرر) مصر، مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان.